بحوث مترجمة

عِلْمُ الأَنْبياءِ بِحَقَّانِيَّةِ الْوَحْي
مُقارَبَةٌ قُرْآنيّةٌ، وَرُوائيَّةٌ

الشَّيخُ عليّ ربَّاني كلبايكانيّ

ترْجمة داخل الحمدانيّ

The Prophets's Knowledge of the Veracity of Inspiration

A Qur'anic and Narrative Approach

Sheikh Ali Rabbani Kalbaikani

Translation Dakhil Al-Hamadani

ملخَّص البحث

تُعدُّ مسألةُ علم الأنبياء بحقَّانيَّة الوحي واحدةً من المسائل المهمَّة في بابِ الوحي والنبوَّة، وقدْ جاء في الروايات أنَّ التَّوفيق الربَّانيّ، والسَّكينة والوقار، والنُّور الإلهيّ، وكشف الغطاء، منشأٌ لعلم الأنبياء بحقَّانيَّة ما أُوحي إليهم.

قدَّم المفكِّرون المسلمون في ما يرتبط بذلك تحليلاتٍ متنوِّعة؛ فعدَّه بعضٌ أنَّ منشأ ذلك المعجزةُ، وقد عزا بعضٌ آخرُ ذلك إلى معرفة النبيّ بأسباب الوحي، وتوجد نظرةٌ أُخرى قائمة على أنَّ الوحي من مقولة العلم الحضوريّ؛ فلا يعتريه الخطأُ، ويوجد اتِّجاه آخر في تحليل هذه المسألة يفترض أنَّ تجرُّد النبيّ عقليّ، وتجرُّد الشّيطان وهميّ، والوهم أدنى مرتبةً من العقل؛ فلا يكون منشأ الوحي شيطانيًّا؛ بل سيكون ربَّانيًّا.

وهذه الاتِّجاهات، والرُّؤى لها حسناتُها، وسيِّئاتُها؛ إذ يتكَّفل هذا المقال بسطها، ونقدها.

أمَّا التَّفسير، والتَّحليل الذي يختاره الكاتبُ فهو إنَّ الأنبياء، وبسبب العناية الإلهيَّة الخاصَّة بهم لم يكونوا يرتابون في حقَّانيَّة الوحي، كما أنَّ عامَّة النَّاس لا يشكُّون في البديهيَّات، إذن فالأنبياء كانوا على يقينٍ مطلقٍ بأنَّ الله الحكيم القادرَ، يحفظهم من تدخُّل الشَّيطان في مجال الوحي.

Abstract

The issue of the knowledge of the prophets about the genuineness of inspiration is one of the important issues in the chapter on inspiration and prophethood, and it has been mentioned in the narratives that the divine success, tranquility and dignity, divine light, and the unveiling of the veil are the origin of the knowledge of the prophets of the truthfulness of what was revealed to them.

Related to this, Muslim thinkers have offered various analyzes. Some considered it to be the origin of that miracle, and others attributed it to the Prophet's knowledge of the causes of inspiration, and there is another view based on the fact that inspiration comes from the category of resident science. He is not subject to error, and there is another trend in the analysis of this issue that assumes that the prophet's impartialityis rational, Satan's impartiality is illusory, and the illusion is inferior to reason. The origin of the inspiration is not demonic. Rather, it will be divine.

These trends and visions have their advantages and disadvantages. This article is responsible for its simplification and criticism.

As for the interpretation, and the analysis chosen by the author, it is that the prophets, because of their special providence, did not question the veracity of inspiration, just as common people do not doubt the axioms, so the prophets were absolutely certain that God is wise and almighty, protecting them from the interference of Satan.

مُدخل

إنَّ واحـدًا من الأسـئلة ذات الصِّلـة بالوحي، هـي: كيف للأنبيـاء، وبأيِّ طريق يمكنهم اليقين بأنَّ ما يُوحى إليهم وحيٌ إلهيّ ربَّانيّ؟.

مثـالًا على ذلـك: كيف تيقَّن النبيّ موسـى عليه السلام بأنَّ مصدر النِّداء الذي سـمعه من الله؟ أو كيف يتيقَّن النبيُّ بأنَّ ما يراه في اليقظةِ، والمنام من تمثُّل، وتجسُّـم الملك في صورة بشريَّة، هو ملك حقيقة؟.

وهذا السـؤال طُرح أيضًا في مـا يرتبط بالإمامِ، والمُحدَّث الذين يسـمعان صوتَ الملك، والسُّـؤال في جميع هـذه الموارد هو: كيف يمكن دفع احتمال أن يكون ما سـمعه النبـيُّ، أو الإمـامُ، أو مـا رأوه في اليقظةِ، والمنام ليـس إلقاءً مـن الله والملك؟ فهل هذا الاحتمال لم يتَّفقْ للنبيّ، والإمام، أم أنَّه اتَّفق، ولكنَّه رُدَّ بأدلَّةٍ قطعيَّةٍ، واضحةٍ؟.

وهناك احتمالٌ آخر يمكن أن يُطرح وهو: هل يمكن أن يكون ما سُمع، وما شُوهد نابعًا من قوَّة مخيَّلة النبيّ، وليس له واقعٌ خارجيّ؟.

فهـل هذا الاحتمال لم يحصـلْ للنبيّ، والإمـام، أم أنَّه حصل، ولكنَّـه يُنفى بالأدلَّة القطعيَّة؟ فعلى كلِّ حالٍ ما هو بيان المسألة؟.

بيانُ المسألة من الرُّوايات

وردتْ هذه المسألةُ في روايات أهل البيت عليهم السلام، وقد أُجيب عنْها بإجاباتٍ متعدِّدةٍ منها:

١. التَّوفيق الإلهيّ

أجاب الإمامُ الصّادق عليه السلام: عن كيفيّة معرفة النبيّ بأنّ ما يراهُ في المنام حقًّا مُلقًى من الملك؛ فقال: «**يوفّق لذلك حتَّى يعرفَهُ**»[١].

قالَ المولى صالح المازندرانيّ في شرح ذلك: «معنى التَّوفيق هُنا خلقُ القُدرة على تمييز الخطأ عن الصَّواب في نفس النبيّ عليه السلام»[٢].

وذكر العلّامةُ المجلسيّ وجهينِ في بيان ذلك:

أ. يعطي النبيّ أسبابَ تلك المعرفة ويهيّؤها لهُ من معجزةٍ مُقارنة لهُ.

ب. إفاضة علم ضروريّ به[٣].

وفي حديثٍ آخرَ عن الإمام الصّادق عليه السلام أنّه قال: «**ما علم رسول الله صلى الله عليه وآله أنَّ جبرئيل عليه السلام من قبل الله تعالى إلّا بالتَّوفيق**»[٤].

(١) أصول الكافي: ١/ ١٨٧.
(٢) شرح أصول الكافي: ٥/ ١٤٥.
(٣) مرآة العقول: ٢/ ١٤٥.
(٤) بحار الأنوار: ١٨/ ٢٥٦.

٢. السَّكينةُ والوَقار

عن زُرارة، قالَ: قلتُ لأبي عبد الله عليه السلام كيف لم يخف رسول الله صلى الله عليه وآله في ما يأتيهِ من قبل الله أن يكون ذلك ممَّا ينزغ به الشَّيطان، قال: فقال: «**إنَّ الله إذا اتَّخذ عبدًا رسولًا أنزل عليه السَّكينةَ، والوَقارَ؛ فكان الذي يأتيه من قِبلِ الله مثل الذي يراهُ بعينِهِ**»[١].

وقد سأل محمَّد بن مسلم الإمامَ الصَّادق عليه السلام السؤال نفسه في مورد المحدَث، قال: ذكرت المحدَث عند أبي عبد الله عليه السلام قال: فقال: «**إنَّه يسمعُ الصَّوت، ولا يرى**»؛ فقلتُ: أصلحَكَ اللهُ كيف يعلم أنَّه كلام الملك؟ قال: «إنَّه يُعطى السَّكينة، والوَقار حتَّى يعلم أنَّه ملك»[٢].

يقول العلَّامة المجلسيُّ في بيان ذلك: السَّكينة: «اطمينان القلبِ، وعدم التَّزلزل، والشكِّ. الوقار: الحالة التي بها يُعلمُ أنَّه وحيٌ»[٣].

٣. النُّور الإلهيّ

وردَ عن الأئمَّة عليهم السلام: أنَّ معرفة ذلك إنَّما هي النُّور منَ الله[٤].

قال القاضي سعيد القمِّيّ في شرح هذا الحديث: إنَّ ذلك العلم إنَّما هو بالنور العقليّ السَّابق على مقام جبرئيل حيثُ وصل الرَّسول إليه، واستفاض من ذلك النُّور الذي هو السَّبب الأوَّل لكلِّ مُمكنٍ جملة العلوم النُّوريَّة، والأنوار الإلهيَّة؛ فعلم منه أنَّ ذلك العلم الجزئيّ من جملة العلم الكلِّيّ الذي هو النُّور المحض الفائض من الله[٥].

(١) بحار الأنوار: ١٨/ ٢٦٢.
(٢) بحار الأنوار: ٢٦/ ٦٨.
(٣) بحار الأنوار: ٢٦/ ٦٨.
(٤) بحار الأنوار: ٣٧/ ٢١١.
(٥) شرح توحيد الصدوق، سعيد القمِّيّ: ٣/ ٣٩٦.

٤. كشفُ الغِطاء

ورد في حديثٍ عن الإمام الصَّادق عليه السلام جوابًا عن سؤال حول كيفيَّة معرفة الرُّسُل أنَّهم مبعوثون من الله، قال: «**اذا عَلِمَتُ الرُّسُل أنَّها رُسُلٌ، كُشِفَ عنها الْغِطاءُ**»[1].

أقوال العلماء وآراؤهم في ذلك

طرح بعضٌ من المفكِّرين الإسلاميِّين مقارباتٍ، وآراءً حول تلك المسألة نحاول أن نعرضَ لها:

أ. المعجزةُ

أثبتَ الشَّيخُ المفيدُ علم الأنبياء بحقَّانيَّة الوحي عن طريق المعجزة؛ وذكر عِبرَ جوابِه عن حقيقة تكلُّم الله المجرَّد عن الجسم، والصِّفات الجسمانيَّة مع الإنسان الموجود الجسمانيّ المحكوم بالزَّمان، والمكان، ثلاث طرق لتكلُّم الله مع الإنسان:

الأوَّل: أن يلقيَ المعارف في نفس الإنسان- بوصفه نبيًّا، وحجَّةً- من دون واسطة.

والثَّاني: يتكلَّم مع الإنسان بوساطة الملك.

والثَّالث: أن يوجِدَ الكلامَ في جسمٍ خاصٍّ، أو في الهواء على نحوٍ يسمعُه المخاطَب به؛ ولكي لا يشكَّ السَّامع في كون الكلام من الله يوجد معجزة مقارنة لذلك، كما حصل لموسى حين كلَّمه الله بواسطة الشَّجرة؛ فلكي يوقِنَ موسى بحقَّانيَّة ما سمعَه أجرى الله معجزة اليد البيضاء، وتبدُّل العَصا إلى ثُعبان؛ وبما أنَّ إجراء هاتَين المعجزَتَينِ لا يتمُّ إلَّا عن طريق القُدرة، والمشيئة الإلهيَّة؛ فقد أيقنَ موسى أنَّ الكلام الذي سمعَهُ مصدرُه الله[2].

(١) بحار الأنوار: ١١/ ٥٦.

(٢) مصنَّفات الشيخ المفيد: ٦/ ٣٨.

تقييمٌ

المعجـزةُ أمـرٌ خارقٌ للعـادة تجري بـإذنِ الله، ومشـيئته؛ والغرض منهـا تأييدُ من يدَّعـي منصبًا إلهيًّا كالنبوَّة، والإمامة، ولا يختلف الفعلُ الخارقُ للعادة سـواء صدرَ عن صالحٍ، أوطالحٍ بالنّسـبة إلى اسـتنادِه إلى إذن الله، ومشيئة العامَّة المرتبط بها نظامُ السببيَّة التكوينيّ، لكن الاختلاف يقعُ في الأمر الخارق للعادة الصادر عن الصَّالح في الاسـتناد إلى إذن الله ومشـيئته الخاصَّة التي تسـتصحب دائمًا عنايته الخاصَّة، ورضاه؛ وبما أنَّ هذا الرِّضـا، والعناية خصوصيَّة المعجزة الدَّاعمة لها؛ فلن يُغلب من خوارق العادة الأُخرى المستندة إلى عوامل شيطانيَّة.

ولا كلامَ في أنَّ المعجـزةَ دليـلٌ قطعـيٌّ لمخاطبي النبيّ على كـون الوحي حقًّا؛ لأنَّ دعوى النبوَّة تسـتبطنُ مدَّعًى: وهو وصـول مدَّعيها إلى معرفةٍ خاصَّةٍ عن طريقٍ خارقٍ للعادة، تلك المعرفة التي لا تُتاح من الطَّرائق الطبيعيَّة مثل الحسِّ، والفِكرِ.

مـن جهة أُخرى؛ فإنَّ قَبولَ هذا المدَّعى الخطير غـيرُ ممكنٍ للآخرين من دونِ دليلٍ قطعـيّ؛ لذا فـإنَّ مدَّعي النبوَّة، ولكي يكـون صادقًا في مدَّعاه يجب أن يـأتي بفعلٍ آخرَ خارق للعادة، وقابل للمُشاهدة.

مـن هُنا يطلبُ النَّـاسُ المعجزةَ من الأنبيـاء، وهم بدورهم يصـدورن أمرًا خارقًا للعـادة، وعـن هذا الطَّريق يؤمن النَّـاسُ بصِدقِ دعْوى نبوَّة الأنبيـاء، إلَّا أنَّ هذا الأمر لا ثمـرةَ لـهُ في مـورد الأنبياء؛ لكـونِ لا فرقَ عندهم بـين الأمر الخارق للعـادة القابل للمُشـاهدة الحسـيَّة، والوحي من جهةِ الحقَّانيَّة ثبوتًـا، وإثباتًا؛ فالنبيُّ من جهةٍ يسـمعُ خطابًـا، ولا يرى المتكلِّم، ومن جهةٍ أُخرى يجري الأمـر الخارقَ للعادة على يديه (إلقاء العصا، وتحوُّلها إلى ثُعبان).

فلوْ فرضْنا أنَّ منشـأَهما، وعلَّتهـما غير إلهيَّة؛ لأنَّ الاحتمال العقـليّ قائمٌ على فرض

عدم استناد التكلُّم، وتبديل العصا إلى ثعبان إلى الله، فلا مرجِّحَ لأنْ يكونَ أحدهما دليلًا على إلهيَّة الآخر.

إذن فالمعجزة فعلٌ خارقٌ للعادة يحصل بإذن الله، ومشيئته الخاصَّة، وهو كالوحي من هذه الجهة؛ لأنَّه أيضًا أمرٌ خارقٌ للعادة مستند إلى إذن الله ومشيئته الخاصَّة؛ فإذا احتملنا عدم إلهيَّة الوحي؛ فيمكن أن نحتمل ذلك في المعجزة؛ فلا خصوصيَّة للمُعجزة على الوحي؛ كي تُبطلَ احتمال عدم إلهيَّته.

ب. المعرفة بأسباب الوحي

قال القاضي سعيدُ القمِّيُّ[1] في شرح التَّوفيق الإلهيّ، وأثره في تصديق الأنبياء بوحي النبوَّة: «الله يهيِّء الأسباب؛ أي أسباب نزول جبرئيل عليه السلام، والنبيّ صلى الله عليه وآله بالعلم بتلك الأسباب يعلم، ويوقن بنزول جبرئيل».

وفي توضيح ذلك قال:

١. إنَّ معرفة كلِّ شيءٍ غيرُ بيِّنٍ بنفسِه؛ إنَّما هي بمعرفةٍ سابقةٍ.

٢. كلُّ ما لهُ سببٌ إنَّما يُعرف معرفة يقينيَّة من جهة سببِه.

٣. لا ريبَ أنَّ جبرئيل من عالم الأرواح القدسيَّة، وأنَّه ينتهي ما أخذ من العُلوم الإلهيَّة إلى اللوح المحفوظ، وأمُّ الكتاب، وهو عبارةٌ عن النَّفسِ الكُليَّة الإلهيَّة.

٤. إنَّ النُّفوس الكاملة ما لم تصِلْ إلى مرتبة النَّفس الكليَّة لم تنَلْ درجةَ النُّبوَّةِ، ودرجة النبوَّات تتفاوتُ بتفاوُت درجة الاتِّصال بالنَّفسِ الكُليَّة.

٥. قد تحقَّق أنَّ نبيَّنا سيِّدَ المرْسلينَ صلى الله عليه وآله سبقَ النَّبيِّين في الدَّرجاتِ العُلى، ووصل إلى قاب قوسَين أو أدنى؛ فهو أعلى من النَّفس الكُليَّة في مرتبة «قاب قوسَين»

(١) شرح توحيد الصدوق، سعيد القمِّيّ.

وأعلى من العقل الكلِّيّ، وقد أشار عليه وآله السَّلام إلى بعض مقاماتِه بقوله: «لي مع الله وقتٌ لا يسعُني فيه ملكٌ مقرَّب، ولا نبيٌّ مرسَل»[1].

٦. بالنَّظر إلى ما تقدَّم؛ فإنَّ النبيَّ صلى الله عليه وآله بعدما صحَّح النِّسبةَ الاتِّصاليَّة إلى المبادئ العالية استحقَّ نزول جبرئيل عليه السلام عليه؛ فمعرفتُه بسبب النُّزول في كلِّ مرَّةٍ مسبوقةٌ على النُّزول؛ لأنَّه ما لم يتوجَّه لسيره إلى الله في أمر لم يستعدَّ لنزول الفيض منه تعالى؛ لأنَّ الله أبى أن يجريَ الأشياءَ إلَّا بالأسباب، وأنَّه تعالى مسبِّبُ الأسبابِ.

٧. إذن فمعنى قوله عليه السلام: «إنَّ ذلك بتوفيق الله» فيه إشارةٌ إلى علم النبيّ صلى الله عليه وآله بجبرئيل؛ وأنَّه من قبل الله، هو أنَّ الله يهيِّءُ أسباب نزول جبرئيل، وهي عبارة عن التوجُّه الكُلِّيّ إلى عالم الإله لاستفاضة ما هناك من الحقائق الإلهيَّة[2].

وحاصلُ هذا التَّفسير أنَّ علم النبيّ صلى الله عليه وآله بجبرئيل، وأنَّه مرسلٌ من الله، وأنَّ كلامَهُ كلامُ الله، ليس بدهيًّا؛ ومن هنا فإنَّ العلم اليقينيَّ به منوطٌ بالعلم بأسبابِه: أي علم النبيّ صلى الله عليه وآله بالنَّفس، والعقل الكُلِّيَّين، وعالم الألوهيَّة، تلك المراتب العالية في الوجود، والمُقدّمة على وجود جبرئيل.

فالنبيُّ صلى الله عليه وآله وبالتوجُّه إلى الهُويَّة الإلهيَّة المحضة يطَّلع على حقائق العالم الأُلوهيّ (أسماء وصِفات الله)، ومعرفته بالعالم الألوهيّ سببٌ لمعرفته بعالم النَّفس الكُلِّيّ، وهو مصدرُ علم جبرئيل عليه السلام؛ وعلى هذا فإنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله حيث يعرف الأسباب الإيجاديَّة لجبرئيل، وعالم بمصدر علمِه؛ فهو يعلم يقينًا أنَّ ما ينزل به جبرئيل من الله.

---

(١) التفسير الصافي: ١/ ١٢٤.

(٢) انظر: القاضي سعيد القمِّيّ، شرح توحيد الصدوق: ٣/ ٣٩٦.

تقييمٌ

يواجه هذا التَّفسيرُ إشكالَينِ، يمكن تصحيحُه إذا تمَّ دفعُهما:

الأوَّل: هل كان الأنبياءُ يعلمون ما في اللوح المحفوظ، وأُمُّ الكتاب من دون واسطة الملائكة أم لا؟.

الثَّاني: إذا كان الأنبياءُ يعلمون ما في اللوح المحفوظ، وأُمُّ الكتاب؛ فإنَّهم يعلمون مصدرَ علم جبرئيل؛ فما هي حاجتهم إلى الوحي بوساطته؛ لأنَّ الفرضَ كونُهم يعلمون ما يأتي به جبرئيل مُسبقًا؟.

١. علمُ الأنبياء باللوح المحفوظ

يتَّضِحُ من خلال الآيات أنَّ الأنبياء يعلمون في الجُملة ما في اللوح المحفوظ، وأُمُّ الكتاب من دون واسطة جبرئيل، أو ملائكة آخرين، ومن جملة أدلَّة ذلك الآياتُ المرتبطة بخلق آدم، وحديث الملائكة مع الله بهذا الخُصوص؛ إذ أخبرَ الله الملائكةَ بخلقه للإنسان بوصفه خليفةً لهُ على الأرض، ممَّا أدهش الملائكة؛ لأنَّهم يعلمون أنَّ موجودًا أرضيًّا لا يتصوَّر من دون أن يكون مُفسِدًا، وسفَّاكًا للدِّماء من جهةٍ، ويعلمون أيضًا نزاهتَهم، وبراءتَهم عن مثل تلك الأفعال القبيحة؛ فأخذوا يسألون اللهَ عن علَّةِ هذا الاستخْلاف؛ فَلِكَي يبيِّن الله للملائكة أنَّ خليفتَه الذي يريد أن يستخلِفَه في الأرض أفضل منهم، علَّمه أسماءَهُ الحُسنى التي إليها ترجع جميع الموجودات الممكنة؛ ثمَّ قال للملائكة أخبروني بتلك الأسماء؛ فأحجموا؛ لعدم علمهم بحقائق جميع الأسماء،ثمَّ قال لآدم: أنبئهم بتلك الأسماء؛ فلمَّا أنبأهُم، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

وتلك الأسماء التي علَّمها اللهُ لآدم، وإن لم تُبيَّنْ، ولكن الظَّاهر من قوله

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠-٣٣.

تعالى للملائكة ﴿أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أنَّ المقصودَ من الأسماء، الحقائق الغيبيَّة؛ أي أسماء الله الحُسنى، التي يُعتبرُ عالم الإمكان من تجلِّياتها، ومظاهرها[1].

وعلى هذا الأساس؛ فإنَّ اللوح المحفوظ، وأُمّ الكتاب من تجليَّات أسماء الله الحُسنى التي كان يعلمُها آدمُ.

ثمَّ أنَّ هذا التَّعليم لآدم عليه السلام بوصفِه خليفةً لله، وبوصفِه إنسانًا كاملًا، ينسحبُ على بقيَّة أنبياء الله بالملاكِ نفسِه؛ أي: بوصفِهِمْ خُلفاءَ للهِ، وبوصفِهم الكُمَّلَ في زمانِهم.

إذن فمنَ الآية المزبورة نعرفُ أنَّ الأنبياء كانوا يعلمون باللوح المحفوظ، وأُمّ الكتاب.

وهُناك دليلٌ آخرُ على المطلوب، وهو قولُه تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ۝٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ﴾[2].

فالكتابُ المكنونُ هوَ اللوحُ المحفوظُ ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ۝٢١ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾[3].

وطبقًا للآيةِ فالأنبياءُ، والأئمَّةُ الذين كانوا يتمتَّعون بمقام العِصمة، يعلمون اللوح المحفوظ، أو الكتاب المكنون.

نعم، كان علمُهم باللوح المحفوظ في الجُملة لا بالجُملة؛ لأنَّ الآياتِ، والرُّوايات الواردة في البَداء تكشفُ في بعض الموارد عن إخبارِهم بوقوع الحوادث، ولم تقَعْ؛ بسببِ وجود شرطٍ لتلك الحادثة لم يتحقَّق، وهذا الشَّرط لم يبيَّنْ في لوح المحوِ والإثبات، بل بُيِّن في اللوح المحفوظ؛ ولذلك فإن النبيَّ، أو الإمام أخبر بصورة مطلقةٍ من دون قيدٍ، أو شرط طبق علمه بلوح المحو والإثبات، ولكن الله يُطلع الأنبياء، والأئمَّة في ما بعد

(١) راجع: تفسير الميزان: ٥/ ١١٨، وتفسير تسنيم: ٣/ ١٦٣-١٧٣.
(٢) سورة الواقعة، الآية: ٧٧-٧٩.
(٣) سورة البروج الآية: ٢١-٢٢.

بهذا الشّرط كي يثبتُوا للنَّاس صدق إخبارهم بعد توضيح المانع عن وقوع الحادثة، وهو عدم تحقُّق الشَّرط.

مـن هنا عُبِّرَ في الرِّوايات عن العلم المكنون لله بأنَّه منشـأُ البداء؛ وعلى هذا فاللوح المحفوظ منشأُ البداء، ولوح المحو والإثبات محلّ وقوعِ البَداء.

ومن الشَّواهد الأُخر على علم النبيّ، أو الإمام باللوح، والكتاب المكنون في الجُملة قولـه تعـالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[1].

إشكالٌ

أشـارتْ بعضُ الآيات الكريمات إلى مفاتح مخازن الغيـب لا يعلمُها إلَّا الله كقولِه تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾[2].

وجـاءَ في الرِّوايـات أيضًا أنَّ لله علـمًا مكنونًا لا يعلمـه إلَّا هو، وهو منشـأُ البداء للأنبياء، والأئمَّة.

الجوابُ

إذا كان المقصـودُ من مفاتح الغيب علـمَ الله الذاتيّ؛ فلا منافاةَ بين اختصاصِه بالله، وعلـم الأنبيـاء، والأئمَّة باللـوح المحفوظ؛ لأنَّ اللـوحَ المحفوظ مـن مراتب علم الله الفعليّ.

قـال العلَّامةُ الطباطبائيّ: «من هنا يظهـر أنَّ هذا الكتابَ بوجهٍ غيرُ مفاتح الغيب، وخزائن الأشياء التي عند الله سبحانَه؛ فإنَّ الله تعالى وصف هذه المفاتح، والخزائن بأنَّها غير مقدَّرة، ولا محدودة، وأنَّ القدر إنَّما يلحق الأشـياء عند نزولها من خزائن الغيب إلى

(١) سورة الشورى، الآية: ٥٢.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ٥٩.

هذا العالم الذي هو مستوى الشَّهادة، ووصف هذا الكتاب بأنَّه يشتمل على دقائق حدود الأشياء، وحدود الحوادث؛ فيكون الكتابُ المبين من هذه الجهة غيرَ خزائنِ الغيب التي عند الله سبحانَهُ، و إنَّما هو شيءٌ مصنوع للهِ سبحانه يضبط سائرَ الأشياء، ويحفظها بعد نزولها من الخزائن، وقبل بلوغِها منزلَ التحقُّقِ، وبعد التحقُّق، والانقضاء.

ويشهدُ بذلك أنَّ الله سبحانَه إنَّما ذكر هذا الكتابَ في كلامه لبيان إحاطة علمِه بأعيان الأشياء، والحوادث الجارية في العالم سواء كانتْ غائبةً عنَّا، أم مشهودةً لنا، وأمَّا الغيب المطلق الذي لا سبيلَ لغيره تعالى إلى الاطِّلاع عليه؛ فإنَّما وصفَهُ بأنَّهُ في خزائنه، والمفاتح التي عنده لا يعلمها إلَّا هو؛ بل ربَّما أشعرتْ، أو دلَّت بعضُ الآيات على جواز اطِّلاع غيره على الكتاب من دون الخزائن كقولِه تعالى: ﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ﴾[1] [2].

إذنْ فعِلْمُ الله علمٌ بالذَّات، وعلم الغير به علمٌ بالغَير، كما يشير إليه قولُه تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ ﴾[3].

٢. تعليم وتعلُّم الأنبياء والملائكة

يتَّضِحُ ممَّا تقدَّم أنَّ الأنبياءَ يعلمون الحقائق الغيبيَّة التي من جملتها اللوحُ المحفوظ بما هو مصدرُ علم الملائكة؛ فهم معلَّمو الملائكة من هذا الجانب، غير أنَّ ما يبدو من بعض الآياتِ، والروايات أنَّ النبيّ صلى الله عليه وآله تعلَّم الحقائقَ، والمسائلَ الدينيَّة من جبرئيل بشكلٍ خاصٍّ، كما ورد به الذِّكر الحكيمُ في قولِه تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ ٤ عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلۡقُوَىٰ ﴾[4].

(١) سورة الواقعة، الآية: ٧٩.
(٢) تفسير الميزان، ٧/ ١٢٧.
(٣) سورة الجن، الآية: ٢٦-٢٧.
(٤) سورة النجم، الآية: ٣-٥.

ثمَّ إنَّ الآياتِ، والرُّوايات بهذا السِّياق من الكثرة بمكانٍ بحيثُ لا يبقى مجالٌ للشكِّ.

وبناءً على ذلك يوجدُ إشكالانِ:

الأوَّل: كيف يمكن للأنبياء أن يكونوا معلِّمي الملائكة، ومتعلِّميهم؟.

الثَّاني: إذا كان الأنبياءُ يعلمون ما في اللوح المحفوظ، والحقائق الغيبيَّة؛ فما هي ثمرة نزول جبرئيل بالوحي إليهم؟.

وفي جواب الإشكال الأوَّل يمكن أن يُقال: للأنبياء بُعدان: ملكوتيّ، ومُلكيّ، أو سماويّ وأرضيّ؛ فبلحاظ البُعد الملكوتيّ السَّماويّ يكونون مُعلِّمي الملائكة، وبلحاظ البُعد المُلكيّ الأرضيّ يكونون متعلِّمي الملائكة؛ فلا يلزم حسب ذلك الدَّورُ الباطل، ولا التّناقُض.

قالَ الشَّيخُ جوادي آمُلي: «الإنسان الكامل معلِّم الملائكة، وهو القناة التي ينزل الفيضُ الإلهيّ من خلالها إلى عالم الإمكان، وهو لا ينافي كون الملائكة قنوات للفيض الإلهيّ للنَّاس جميعًا بما فيهم الإنسان الكامل؛ لأنَّ قناتيَّة الإنسان الكامل مرتبطةٌ بالمرحلة العالية لهُ، وقناتيَّة الملائكة مرتبطةٌ بالمراتب المتوسِّطة، أو النَّازلة للإنسان الكامل من باب ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[1].

فالإنسانُ الكاملُ من جهة أنَّه ﴿يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾[2]، كبقيَّة النَّاس يقع ضمن تدبير الملائكة، ولكن من جهة أنَّه تلميذ الله بلا واسطةٍ، وعالم بجميع حقائق عالم الإمكان؛ فهو الواسطة في الفيض: أي حتَّى الوحي الإلهيّ، وقبل أن يصل إلى الملائكة يصل إلى المرحلة العُليا للإنسان الكامل؛ ثمَّ ببركة تلك المرحلة السَّامية ينزل على الملائكة»[3].

(١) سورة الكهف، الآية: ١١٠.

(٢) سورة الفرقان، الآية: ٧.

(٣) تسنيم: ٣/ ٢١١.

وفي معرض الجواب عن الإشكال الثّاني هناك عدّة نقاط:

الأولى: للنبيّ صلى الله عليه وآله مقامان: النبوّة، والرِّسالة؛ فمن جهةِ النبوَّةِ لا يحتاج إلى وحي الملك؛ لأنَّه عالمٌ بالحقائق الغيبيَّة، ومن جهةِ الرِّسالة يحتاج إلى تجدُّد الوحي سواء بغير واسطة أم بواسطة الملك كما هو الغالبُ.

ويتلخَّصُ دورُ الوحي الملك في:

أوَّلًا: إعلام النبيّ ببعثتِه، ومهمَّته.

ثانيًا: تعليم النبيّ مضمون مهمَّته، ومقدارها، وكيفيَّتها.

إذنْ فدورُ الوحي الإلهيّ للأنبياء سواء بوساطة وحي الملك، أم بلا وساطة، تأكيديّ بلحاظ مقام النبوَّة، وتأسيسيّ بلحاظ مقام الرِّسالة، ولا يلزم اللغوُ من التَّأكيد، كما أُوحي للنبيّ صلى الله عليه وآله كثيرٌ من الآيات، والسُّور بصورةٍ مكررةٍ[1].

الثَّانية: بالنَّظر إلى ما ذكرناه من محدوديَّة علم الأنبياء باللوح المحفوظ، وأنَّهم يعلمون ذلك في الجملة، لا بالجملة؛ فإنَّ دورَ جبرئيل بالنِّسبة إلى نبوَّة الأنبياء لا يقتصر على كونه تأكيديًّا؛ بلْ يوحِي إليهم تفاصيلَ ما علموه بالإجمال؛ فهو استنادًا إلى ذلك معلِّمُ الأنبياء كما يشير إلى ذلك قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾[2].

نعم، يمكن تصوُّر أنَّ ما نزل به جبرئيلُ على الأنبياء عبارة عن معانٍ، ومضامين عاليةٍ يدركُها كلٌّ، أو بعض الأنبياء بصورةٍ أفضل من جبرئيل؛ إذ «ربَّ حامل فقهٍ إلى من هو أفقه منه»[3].

ومن ذلك يتَّضح عدم المنافاة بين تعليم جبرئيل للأنبياء، وأفضليَّتهم على الملائكة.

(١) انظر: الاتقان في علوم القرآن: ١/ ١٣٠.

(٢) سورة النجم، الآية: ٥.

(٣) وسائل الشيعة: ١٨/ ٦٣.

الثَّالثة: يتضمَّن نزول جبرئيل على الأنبياء فضلًا عن دور الوَساطة في إيصال رسالات الله إليهم وهو البُعد التأكيديّ، أو التأسيسيّ، دورًا تأييديًّا، وتثبيتيًّا ؛ ذلك لأنَّ الرُّوح القدسيَّة للأنبياء تزدادُ طمأنينةً، وسكونًا بتكرار نزول روح القدس عليها، كما جاء بذلك التنزيل، قال تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَۖ وَرَتَّلۡنَٰهُ تَرۡتِيلٗا ﴾[1].

ج. العلم الحضوريّ

قال بعضُ المحقِّقين في إيضاح كيفيَّة عدم ترديد الأنبياء في حقَّانيَّة الوحي المنزل عليهم: «نشأت هذه الشُّبهةُ، أو هذا التَّساؤل من تصوُّر أنَّ الوحي للأنبياء من سُنخ العلم الحصوليّ، والمفهوميّ، وهو تصوُّرٌ خاطئ؛ فالوحي حضور ومشاهدة الحقائق؛ فالمعارف والعلوم تفيض مباشرة على قلب النبيّ، وتنير جميع وجوده؛ فيكون كلّ وجوده يقينًا، وإيمانًا، ونورًا، وسكونًا، واطمئنانًا، ومع وجود مثل هذه النورانيَّة، والإيمان؛ فلا مكان للتَّرديد، والرَّيب»[2].

مناقشةٌ

أوَّلًا: لا يوجد بأيدينا دليلٌ قطعيٌّ على أنَّ الوحي إلى الأنبياء من سُنخ العلم الحضوريّ؛ بلِ الآيات، والرُّوايات تؤكّد أنّ الوحيَ نوعانِ:

أ. كلاميّ، ولفظيّ.

ب. إلهامٌ، وإلقاءٌ في القلب.

فالنَّوعُ الثَّاني علم حضوريّ، لكن النَّوع الأوَّل من العلم الحصوليّ؛ لأنَّ الحقائقَ الوحيانيّة تردُ إلى قلب النبيّ صلى الله عليه وآله عن طريق حاسَّة السَّمعِ.

(١) سورة الفرقان، الآية: ٣٢.

(٢) مقالات فارسيَّة في (المؤتمر العالميّ لألفيَّة الشيخ المفيد).

ثانيًا: ليس كلُّ علمٍ حصولي قابلًا للشكِّ، والتَّرديد، وكلُّ علمٍ حضوري غيرَ قابلٍ للشكِّ، والتَّرديد؛ فالبديهيَّات الأوليَّة يكفي للتَّصديق بها تصوُّر الموضوع، والمحمول، والنِّسبة بينَهما.

من جهةٍ أُخرى؛ فإنَّ شهود حقيقةٍ ما علمٌ حضوريّ، وهو وإن كان من هذه الجهة لايحتمل الخطأ، إلَّا أنَّه يمكن أن تكون الحقيقة المُشاهدة مزيَّفة، وليستْ كما هي؛ فحينئذٍ يكون عرضةً للخطأ؛ وهذا ما يفتح الباب على احتمال الشَّطح، والخطأ، والتَّدليس في شُهود العارفين.

والسرُّ في نفوذ الخطأ في الكشفِ، والشُّهود قد يُعزى أحيانًا إلى خلط المثال المنفصل بالمتَّصل؛ أي ما يراه السَّالكُ غير الواصل في عالم المثال المتَّصل، يحسبه جزءًا من عالم المنفصل؛ ولأنَّ المثال المنفصل من صُنع الله، ومنزَّه عن كلِّ عيبٍ، ونقصٍ، ولا يوجد فيه فطور، ولا تفاوت، ولا خلاف؛ فيظنُّ السَّالكُ أنَّ ما رآه حقٌّ لا يشوبه شيءٌ[1].

وبناءً على ذلك؛ فشهود، وحضور المعرفة ليس بحدِّ ذاته ملاكًا لعدم الخطأ والتَّرديد، إلَّا أن يثبت للنبيّ عدم احتمال الخطأ من دليل آخر؛ وخلافًا لذلك؛ فإنَّ احتمال أن يكون منشأ الوحي غير إلهيّ واردًا في الصَّوت الذي يسمعُهُ النبيُّ، وفي ما يُلقى على قلبِه من الحقائق.

د. تجرُّد الشَّيطان وهميّ لا عقليّ

طُرِحَ وجهٌ آخر في عدم احتمال الخطأ، والتَّرديد في ما يستوفيه الأنبياءُ عن الوحي، وهو: إنَّ الأنبياء يتمتَّعون بالتجرُّد العقليّ، بينما تجرُّد الشَّيطان وهميّ؛ فلا طريقَ لهُ إلى المرتبة السامية للأنبياء؛ لكي يكون منشأً لإدراكاتهم الوحيانيَّة.

(١) تسنيم: ١/ ٣٩.

قال جوادي آملي:

«إنَّ الأنبياء، وبسبب وصولهم إلى مرتبة لايتخلَّلها الباطلُ، يرون الحقَّ صريحًا، شفَّافًا؛ لأنَّ ساحة الله ليس فيها سوى الحقّ، ولا مكانَ فيها للباطل، والكذب، والخلاف، ولا طريق لوسوسة الشيطان إليها؛ من هُنا فلا تكون مرتعًا لِخداع الشَّيطان، ووهمه؛ لأنَّ مستوى تجرُّد الشَّيطان، ومحيطه يقتصر على التجرُّد الوهميّ، ولا يصعد إلى مقام الحقِّ، والإخلاص المنطوي على التجرُّد الأصيل، والخالص من كلِّ شائبةٍ، وتخليط.

إذن فالنبيُّ في المثال المتَّصل- كبعض أقسام الرُّؤيا- وفي المثال المنفصل- كرؤية الملك في اليقظة- يرى، ويسمع الحقَّ فقط، وجميع كشفه، وشهوده حقّ»[1].

وقال أيضًا:

«ومعنى هذا الكلام أنَّ الجهل، والوهم، والشَّيطنةَ مُنحصرةٌ في الوهم، والخيال ومحيطها التعلُّق بعالم الطَّبيعة؛ أمَّا محيطُ العقل الأصيل، وهذا النَّبعُ الزُّلال؛ فلا يصله الوهمُ، والخيال، والشَّيطان؛ فإنَّه لا يخرج من هذا الينبوع سوى الحقّ.

إنَّ كلَّ ما يراه الإنسانُ، ويسمعُه في إطار الحسِّ، وعالم الوهم، والخيال، فهو عُرضةٌ للشكِّ؛ إذ يمكن أن يُقال: هلْ ما رآه الإنسانُ، وما سمعَهُ منَ الحقِّ باطلٌ؟.

أمَّا إذا حلَّقت نفسُه إلى عالمٍ أسمى، وطارَتْ فوق الوهم، والخيال، ووصلت إلى وادي العقل المقدَّس المحض، والشُّهود التَّامّ، والكشف الصَّحيح؛ فإنَّ كلَّ ما رآه، وسمعه حقٌّ، وواقعٌ، وحقيقةٌ؛ لأنَّ لا مجالَ للباطل في التَّحليق في تلك الأجواء»[2].

(١) تسنيم: ١/ ٣٩.

(٢) تسنيم: ١/ ٢٠.

فحاصِلُ القول الأوّل: إنَّ شهود النبيّ ﷺ، واستيفاءَهُ الحقائقَ يقع في مرتبة التجرُّد العقليّ المحض، ولا سبيلَ للشَّيطان نحو مرتبة التجرُّد العقليّ المحض؛ وبناءً على ذلك؛ فلا سبيلَ للشَّيطان في شُهود النبيّ، وما يُوحى إليه منشؤُه إلهيٌّ صِرفٌ.

وحاصِلُ القول الثَّاني: أنَّ الشَّكَّ وليدُ الوهم، والخيال، وهما مرتبِطانِ بعالم الطَّبيعة، ولا سبيلَ للوهم والخيال في مرتبة العقل، ومن جهة أُخرى؛ فالنبيُّ يتمتَّع بالعقل المحض، وعلمُه ينبع من العقل المحض؛ لذا فلا طريقَ للوهم والخيال إلى علمِه؛ لأنَّ منشأ الشَّكِّ الوهم، والخيال.

تقييمٌ

يُثار على هذا الدَّليلِ نُقطتان:

١. إنَّ هذا الدَّليل على فرض صحَّته صادقٌ، وصحيحٌ في الموارد التي يُوحى فيها إلى النبيّ من دون واسطةِ الملك.

وأمَّا في الموارد التي يتمثَّل فيها جبرئيلُ بشرًا، ويُلقي الحقائقَ على النبيّ فغيرُ صحيحٍ؛ ذلك بسبب الأثر الذي يتركُه البُعدُ النَّاسوتيّ، والبشريّ في تلقِّي الوحي؛ لأنَّنا ذكرنا مشكلة التناقُض في كون النبيّ معلِّمًا لجبرئيل، ومتعلِّمًا عندهُ، وقدَّمنا الحلَّ القائم على التَّفريق بين البُعدَينِ النَّاسُوتيّ، والملكُوتيّ في شخصيَّة النبيّ؛ فهو معلِّم جبرئيل للبُعد الملكوتيّ، ومتعلِّمه للبُعد الناسوتيّ؛ طبقًا لذلك؛ فإنَّ في عالم الناسُوت قابليَّة دخول الشَّكِّ، والوهم، والخيال.

٢. كيف علم النبيّ أنَّه في مقام التجرُّد العقليّ الخالص، وخارج عن مرْمى الخيال، والوهم، والتَّسويلات الشَّيطانيّة؟.

فإذا قيل: إنَّه شاهدَ هذه الحقيقة، وعلمها حضوريًّا؛ فإنَّه يُقال: يحتمل الخطأ في شهوده، وعلمه الحضوريّ؛ لأنَّ العلم الحضوريّ قابلٌ للخطأ.

فـإن قيـل: إنَّ قابليَّـة العلم الحضـوريّ للخطـأ مختصَّةٌ بالسَّـالك غـيرِ الواصل، لا الواصل، قُلنا: كيف عرف كونه سالكًا واصلًا؟.

فإن قيل: إنَّ العارفَ غير السَّـالك لا يصِلُ إلى مقام النبوَّة، وحيث وصل إلى مقام النبوَّة نعرف أنَّه سالكٌ، واصلٌ، وشهودُه خالصٌ، ولا يقبل الخطأ.

قُلنا: كيف عرف أنَّه وصل إلى مقام النبوَّة؟.

فلـو قيـل إنَّـه وصـل إلى النبـوَّة عن طريـق الوحـي؛ فيمكـن أن نطرح سـؤالًا، وهـو: كيـف لم يشـكَّ النبـيّ، ولم يـتردَّدْ في أنَّ منشـأ مـا يُوحـى إليـه إلهـيّ، وليـس شيطانيًّا؟.

إذن فالدَّليـلُ المزبور ينطوي على الدَّور المضمر، وعلى ذلك فجواب التسـاؤُل عن مصدر اطمئنان النبيّ في إلهيَّة ما يُوحى إليه، قد بُيِّن في النقاط الآتية:

١. إنَّ النبـيَّ يعلم وصولـه إلى مقام التجرُّد العقليّ بالعلم الحضوريّ، ولا سـبيلَ للوهم، والشَّيطان لهذا المقام.

٢. لا خطـأَ في علـم النبيّ الحضوري؛ لأنَّهُ سـالكٌ واصلٌ، ولا سـبيلَ للخطأ في شهود السَّالك الواصل.

٣. إنَّ النبـيَّ يعلم عن طريق وصولِه إلى النبوَّة بأنَّه سـالِكٌ واصلٌ؛ لأنَّ السَّـالك غير الواصل لا يصل إلى مقام النبوَّة.

٤. إنَّ النبيّ يعلم بوصولِه إلى مقام النبوَّة عن طريق الوحي.

وهُنا يُطرح أيضًا التَّسـاؤلُ نفسُـه: كيف علم النبيُّ بأنَّ منشـأ ما أُوحـي إليه إلهيًّا، وليس شيطانيًّا؟.

ويُلاحظ أنَّ الدَّليلَ كان بصددِ الإجابة عن هذا التَّساؤُل، ولكنَّه ينتهي إلى التساؤل نفسه.

الجوابُ الصَّحيح

ينقسم الوحي النازل على النبيّ على قسمَينِ:

أ. الوحيُ المرتبطُ بأصل النبوَّة.

ب. الوحيُ المرتبط بالمعارف، وأحكام الشَّريعة.

وترجعُ هاتان المسألتانِ إلى عصمة الأنبياء في تلقِّي الوحي؛ ولذا تحظَيان بأهميَّة بالغةٍ، والكلام في أنَّ الأنبياءَ لا يقعُون في الخطأ، والاشتباه في تلقِّي الوحي سواء في أصل اختيارهم لمقام النبوَّة أم في المعارف، والأحكام الشَّرعيَّة.

إذن فيمكن أن يُطرح هنا سؤالان:

١. لماذا يجب أن يكون للأنبياء يقينٌ تامٌّ بإلهيَّة ما يُوحَى إليهم؟.

٢. ما سببُ، ومنشأ يقينهم التامُّ بإلهيَّة ما يُوحى إليهم؟.

وجواب السُّؤال الأوَّل يبتنِي على أنَّ نفس الدَّليل الذي يثبت ضرورة النُّبوَّة، يثبت عصمة الأنبياء في تلقِّي الوحي، ومن الضَّروري أنَّ هداية النَّاس إلى الكمال المطلوب بوصفِه غرضًا أساسيًّا للنبوَّة، لا يتحقَّق ما لم يكن للأنبياء يقينٌ بأنَّ ما يُوحى إليهم إلهيّ، ولا سبيلَ للشَّيطان إليه.

أمَّا جواب السُّؤال الثَّاني فهو: إنَّ العنايةَ الإلهيَّة الخاصَّة بالأنبياء جعلتْهم لا يشكُّون قيد أنمُلة في أنَّ ما يُوحى إليهم من الله، كما لا يشكُّ النَّاس بالبديهيَّات.

وهذا الأمرُ يبيِّن أوَّلًا يقينَ الأنبياء، واطمئنانهم التامّ في اختيارهم لمقام النبوَّة، ثمَّ يقينهم بالوحي المرتبط بالمعارف، والأحكام الإلهيَّة ثانيًا؛ لأن يلزم من يقين الأنبياء التامِّ باختيار الله لهم لمقام النبوَّة، يقينهم بإلهيَّة المعارف، والأحكام النَّازلة عليهم لهداية البشريَّة؛ وبخلاف ذلك يكون اختيارُهم لمقام النبوَّة لغوًا لا ينسجِمُ مع حكمة الله.

وبنـاءً على ذلـك؛ فللأنبياء يقينٌ تـامٌّ بحفظ الله لهـم من تدخُّل الشَّـيطان في مجال مـا يُوحى إليهم من المعارف والأحكام، وسـبب هذا الحفظ يعود إلى أنَّ الشَّـيطان غيرُ قـادرٍ على التدخُّل في المرتبة التـي يوحى فيها إلى الأنبياء؛ لأنَّ تلـك المرتبة مرتبة العقل الخالص المحض، التي لا منفذ للوهم والخيال فيها، أو حتَّى لو فرضنا تدخُّل الشَّيطان؛ فإن الحفَظَة الربَّانيِّين يحولون دون ذلك كما ورد في قوله تعالى: ﴿عَـٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدًا ٢٧ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ﴾[1].

(١) سورة الجن الآية: ٢٦-٢٨.

المصادر

١. الكلينيّ، محمَّد بن يعقوب، أصول الكافي، ج١، المكتبة الإسلاميَّة، طهران، ١٣٨٨ق.
٢. المازندرانيّ، الملّا صالح، شرح أصول الكافي، ج٥، تصحيح السيِّد عاشور، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، ١٤٢١ق.
٣. المجلسيّ، محمَّد باقر، مرآة العقول، ج٢، دار الكتب الإسلاميَّة، طهران، ١٣٧٠ش.
٤. بحار الأنوار، ج١٨، المكتبة الإسلاميَّة، طهران، ١٣٩٠ش.
٥. القاضي سعيد القمّيّ، محمَّد بن محمَّد، شرح توحيد الصدوق، ج٣، تصحيح وتعليق نجف قلي حبيبي، وزارة الإرشاد الإسلاميّ، طهران، ١٣٨٣ش.
٦. المفيد، محمَّد بن محمَّد، مصنَّفات الشيخ المفيد، ج٦، المؤتمر العالميّ لألفيَّة الشيخ المفيد، قم، ١٤١٣ق.
٧. الخمينيّ، روح الله، مصباح الهداية إلى الخلافة والولاية، ترجمة السيِّد أحمد فهري، بيام آزادي، طهران، ١٣٦٠ش.
٨. الطباطبائيّ، محمَّد حسين، الميزان في تفسير القرآن، ج٥، مؤسَّسة الأعلميّ للمطبوعات، بيروت، ١٣٩٣ش.
٩. مطهَّريّ، مرتضى، خدمات متقابل إسلام وإيران، دفتر نشر فرهنك إسلامي، طهران، ١٣٩٣ق.
١٠. جوادي آملي، عبد الله، تسنيم، مركز نشر إسراء، قم، ١٣٧٨ق.
١١. السيوطيّ، جلال الدين، الإتقان في علوم القران، منشورات الرضيّ، قم.
١٢. الحرُّ العامليّ، محمَّد بن حسن، وسائل الشيعة، المكتبة الإسلاميَّة، طهران، ١٣٩٨ق.
١٣. الأمينيّ، إبراهيم، مقالات باللغة الفارسيَّة لمؤتمر الألفيَّة العالميّ للشيخ المفيد، ش٥٩، قم، ١٤١٣ق.
١٤. جوادي آملي، عبد الله، معرفت شناسي در قران، مركز نشر إسراء، قم، ١٣٧٨ش.
١٥. جوادي آملي، وحي ونبوت در قران، مركز نشر إسراء، قم، ١٣٨١ ش.